دور رحلات الحج في نشر اللغة العربية والمحافظة عليها قديمًا وحديثًا في غرب أفريقيا(النيجر نموذجًا)

محمد عبد الرحمن عريف[١]

مقدمة:

النيجر مساحتها١.٢٦٧.٠٠٠كم٢ وبها كثافة سكانية تقدّر بحوالي١١مليون نسمة، وتعد من الدول التي وصل إليها الإسلام في وقت مبكر جدًا، وذلك في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي على يد التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري عام٤٦هـ الموافق٦٦٦م حيث توغل في الصحراء الكبرى بعد فتحه لمنطقة فزّان –في ليبيا– ثم تابع فتوحاته الإسلامية نحو الجنوب حتى وصل إلى منطقة كوار (KAWAR)الواقعة في الطرف الشمال الشرقي للنيجر–وتحمل المنطقة حتى اليوم نفس الاسم وتقع في محافظة بِلْمَا (BILMA)في منطقة أغاديس–فحارب أهلها وأدخلهم في الإسلام، ثم رجع إلى غدامس فكان هذا أول وصول الإسلام إلى جزء من أجزاء النيجر[٢].

تعد اللغة العربية في النيجر، إحدى اللغات الوطنية المعترف بها دستوريًا، ولذلك نجد جوازات السفر الصادرة عن حكومة النيجر تُكتب باللغتين الفرنسية والعربية. كذلك صدور بعض الصحف باللغة العربية.

في العصر الحديث وصل "روبرت كامبل"(١٨٢٩–١٨٨٤)، الذي شكل مع "مارتين روبينسون ديلاني"(١٨١٢–١٨٨٥)، فريق استكشاف وادي النيجر، وهي بعثة قام بعض الأمريكيين الأفارقة الأحرار لاستكشاف إمكانية استعمار أجزاء من غرب أفريقيا مع مهاجرين سود من أمريكا. ونتيجة لعملهما في منصبهما كمفوضين في فريق استكشاف وادي النيجر، أبرم "ديلاني" و"كامبل" معاهدة مع ملك قبيلة إغبا وزعمائها تمنحهما الحق في إنشاء مستعمرات في إقليم إغبا[٣].

أهمية الدراسة: تعود أهمية هذه الدراسة لتوضيح دور رحلات الحج في المحافظة على اللغة العربية في النيجر من خلال جملة من المبشرات التي ظهرت فيما بعد، أهمها، الاهتمام الذي تجده اللغة العربية من أبناء النيجر، وحرصهم على تعلمها، والتخاطب بها، إضافة إلى ما يبذل من الجهود الرسمية وغير الرسمية للنهوض بها، والاهتمام المتزايد في تقديم كافة أنواع الدعم المادي والفني من قبل بعض الدول العربية والإسلامية والمؤسسات التعليمية والتنموية وبعض الهيئات والمنظمات، داخل وخارج النيجر، ولا سيما منظمة الإيسيسكو.

---

[١] مصر، استاذ

[٢]مجلة الإسلام اليوم، إصدار منظمة الإيسيسكو، العدد١٢، السنة٢، رجب١٤٠٤هـ، ص٩١.

[٣]تعرضت المعاهدة للمقاومة السياسية بين سكان قبيلة إغبا ولم يتم تنفيذها، غير أن"كامبل"ارتحل إلى أفريقيا في١٨٦٢، حيث أسس صحيفة أنجلو–أفريقي وقام بنشرها، كما شارك في العديد من المشروعات التجارية والمدنية والعلمية التي ساهمت في التنمية المبكرة للمستعمرة البريطانية في لاغوس.

https:/www.wdl.org/ar/item.

أهداف الدراسة: عرض جذور الدور التاريخي لرحلات الحج، الذي نما فيما بعد في صورة الجامعة الإسلامية بالنيجر التي يفد إليها طلاب الدراسات العربية والإسلامية من نحو عشرين دولة إفريقية. وهي تحتوي اليوم على ثلاث كليات للغة العربية والدراسات الإسلامية منها واحدة خاصة بالبنات فتحت بالعاصمة(نيامي)سنة٢٠٠١م، بالإضافة إلى معهد عالٍ للتربية وتكوين أساتذة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومركز إفريقي لإحياء التراث الإسلامي.

المبحث الأول: الجذور التاريخية لنشر الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا

واقع الإسلام في النيجر: هناك طرق عدة لدخول الإسلام إلى النيجر، منها ما كان عن طريق التجار العرب، الذين يفدون إليها من شمال إفريقيا للتجارة والدعوة، وقد كانت للعرب علاقات تجارية مع سكان المنطقة قبل ظهور الإسلام، واستقرت بعض القبائل العربية في المنطقة، وبخاصة منطقة آيير، وكان لهذه التجارة والاستقرار إسهامًا فعّال في نشر الإسلام فيما بعد.. ويرى البعض أن الإسلام إنما دخل المنطقة عن طريق فتح المرابطين للمنطقة في عام٤٦٠هـ١٠٧٦م بعد إسقاطهم لمملكة غانة شبه الوثنية، ولكن هذا الرأي يحتاج إلى مناقشة، لوجود أدلة تثبت أن الإسلام كان موجودًا في المنطقة قبل فتح المرابطين. ويمكن القول إن دخول الإسلام إلى النيجر وانتشاره كان مبكرًا جدًا، وبالطبع كان متزامنًا مع تعليم اللغة العربية لغة الإسلام[٤].

هذا مما يؤكد أن الإسلام قد انتشر بين سكان غرب إفريقيا عن رغبة فيه لا عن رهبة، ولا عن إكراه من ذويه، أنه ظل ينتشر بينهم حتى في الدول الأوروبية المسيحية المستعمرة بل المناهضة للإسلام، واستطاع دعاة الإسلام وهم يمارسون التجارة أن يستغلوا الظروف التي هيأها الاستعمار دون قصد منه لنشر دين الإسلام وحببوه الناس في الأدب العربي عن طريق التعليم واستيراد الكتب القديمة ودواوين فحول شعراء العرب ودرسوا حال الأفارقة.

يعد الإسلام دين الغالبية العظمى لسكان النيجر. إذ تشير أكثر الإحصائيات إلى أن نسبة المسلمين في جمهورية النيجر تبلغ٩٥%من مجموع السكان، والنسبة المتبقية موزعة بين المسيحيين والوثنيين. ومن الناحية الرسمية، فإن النيجر عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي. لكن دستور الدولة الرسمي الذي أقر في المؤتمر الوطني الذي عقد في عام١٩٩١م أن النيجر دولة علمانية(لاييك)، أي لا دينية على الرغم من المعارضة الشديدة لهذه الفقرة من الدستور وعلى الرغم من قيام الجمعيات الإسلامية وبعض الشخصيات بالمطالبة بإلغاء هذه العبارة من الدستور. إلا أن ذلك لم يغير من الواقع شيئا[٥].

وانتشر في جمهورية النيجر بعض الجمعيات الدينية التي تتخذ الإسلام منهج عمل لها، إضافة إلى الجمعية الإسلامية النيجرية التي كانت موجودة من قبل، وهي جمعية حكومية شبه رسمية ترعى المصالح والشؤون الدينية، وتشرف على المساجد وعلى موسم الحج والقضايا التي تهم المسلمين، وأهم الجمعيات:

([٤])علال الفاسي، تاريخ التشريع الإسلامي، ط١،١٩٩٠،ص١٦.

([٥])حسين محمد الربابعة، الإسلام في النيجر بين الماضي والحاضر، كلية عجلون الجامعية جامعة البلقاء التطبيقية،الأردن.

http://attarikh-alarabi.ma/Html/adad18partie4.htm

-الجمعية الإسلامية النيجرية[٦].
-الجمعية النيجرية للدعوة والتضامن الإسلامي .
-الجمعية النيجرية للدعوة والوحدة والتعاون الإسلامي.
-جمعية نشر العقيدة الإسلامية.
-جمعية نشر الثقافة الإسلامية.
-جمعية نشر الإسلام في النيجر.
-جمعية الشباب المسلمين بجامعة نيامي.
-جمعية الشباب المسلمين في النيجر.
-اتحاد النسوة المسلمات بالنيجر.

المطلب الثاني: ماضي التعليم العربي الإسلامي وحاضره في النيجر

إن إفريقيا الحالية وريثة ثلاث ثقافات مختلفة، الثقافة الزنجية الإفريقية، والثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الغربية وحين التقاء اثنتين من هذه الثقافات تولد أدب حديث في الغالب مكتوب، وفي حالة تلاقح الثقافة الزنجية الإفريقية بالثقافة العربية الإسلامية تولد الأدب الإفريقي العربي الذي هو موضوع هذا المبحث، لكن المقصود بالأدب الإفريقي الحديث -في كلام الكاتب الألماني- بالتحديد هو الأدب الإفريقي الذي يحمل معطيات الثقافة الغربية[٧].. توج وجود الإسلام في النيجر بموافقة "المؤتمر الإسلامي" في لاهور بباكستان عام١٩٧١م على إنشاء جامعة إسلامية في غرب القارة الإفريقية يكون مقرها دولة النيجر لموقعها المتوسط بين دول المنطقة، وللنسبة الكبيرة للمسلمين فيها. وبدأت الدراسات لتنفيذ هذا المشروع بعد المؤتمر مباشرة، وتم افتتاح الجامعة فعلاً عام١٩٨٦م وابتدأت بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية. والهدف من إنشاء هذه الجامعة إحياء التراث الإسلامي في المنطقة، وتخريج وإعداد المعلمين والدعاة لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وربط حاضر المسلمين بماضيهم العتيد، ونشر الوعي بين أبناء المسلمين في المنطقة. وبالفعل قامت الجامعة بتخريج عدة دفعات من أبناء المسلمين في المنطقة، وأصبحت الجامعة معقلاً علميًا مهمًا في المنطقة ومركز إشعاع للثقافة والعلوم الإسلامية[٨].

المبحث الثاني: رحلات الحج ومقاومة النشاط التبشيري في النيجر وغرب إفريقيا

وعلى الرغم من انتشار مظاهر التمسك بالإسلام، ومن بينها رحلات الحج، في الغرب الافريقي، فنجد أن الظروف رسخت أن يظل الغرب الإفريقي بعيدًا عن التأثير وذلك للعديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه البلاد. وأن كان عموم الغرب الإفريقي تردد على رحلات الحج وما يعود منها من منافع، وإن لم تكن رحلات الحج هي الوحيدة التي حفظت الإسلام في البلاد، إلا أنها

---

(٦)وقد تأسست بمقتضى القانون رقم٦٤/٣٤المؤرخ في٥نوفمبر١٩٦٣م والمنظم للجمعيات في النيجر، ومقرها الرئيس نيامي. قانون الجمعية الإسلامية الأساسي، المادة الأولى، الفصل الأول،ص١.

(٧)يوسو منكيلا، مصادر الأدب العربي في النيجر، منارة إفريقيا،٣١-١٢-٢٠١٢.

(٨)حسين محمد الربابعة، مرجع سابق.

كانت من بين مدراس عدة قاومت التنصير في عموم إفريقيا. لقد كان رسوخ الإسلام في الغرب الإفريقي، وتقبل الأفارقة له من العوامل الأساسية التي جعلت الإرساليات التبشيرية تحجم عن التبشير في الشمال.

المطلب الأول: مقاومة التنصير في النيجر

إن التأثر بالحضارة الغربية وتقليد الأجنبي منتشرة في المجتمعات النيجرية على نطاق واسع، خاصة في العاصمة والمدن الكبرى. أولى هذه المظاهر انتشار اللغة الفرنسية التي تعد اللغة الرسمية للدولة ولغة التعليم، وهناك فئات عديدة في المجتمع النيجري تتبع النهج الغربي في العادات والتقاليد والزي وطريقة العيش، وكذلك المعاهد والمراكز والمؤسسات المختلفة. يوجد انتشار واسع لأماكن اللهو والحضارات والنوادي الليلية. ويمكن القول إن هناك صراعًا حضاريًا وثقافيًا بين الحضارة والثقافة الإسلامية والحضارة والثقافة الغربية. وأما انتشار الكنائس والنشاط التبشيري لصرف المسلمين عن دينهم ومعتقداتهم الإسلامية، فكبير. وقد بدأت هذه الحملة منذ الستينيّات في القرن الماضي ، وكانت في أوج نشاطها في عدد من المحافظات النيجرية.وقد تمكن هذا النشاط من جني ثمراته بتحويل عدد من أبناء المسلمين عن دينهم، وذلك بما يقدمه المبشرون من خدمات صحية وتعليمية باسم الخدمات الإنسانية. وأهم المناطق التي تأثرت بالنشاط التنصيري منطقة تيرا ودوتشي واغادس وطاوا ونياس ومرادى وساي[٩].

ولو انتقلنا إلى شرق النيجر نجد دولة البرنو الإسلامية التي كانت تضم منطقة زندر –في شرق النيجر– وما جاورها نجدها مليئة بالعلماء ومراكز العلم ومن أبرز علمائها الشيخ أحمد بن فرتو المعاصر لماي إدريس ألوما أشهر مايات الدولة –٦٩٩/٧١٧هـ . الذي يعتبر مؤلفاته من المراجع الأساسية لتاريخ برنو، وبخاصة فترة إدريس ألوما، والشيخ عمر بن عثمان العالم الواسع الاطلاع اتق اللغة العربية والمنطقة والبلاغة والشريعة والتوحيد فضلا عن القرآن والحديث[١٠].

المطلب الثاني: مقاومة التنصير في نيجيريا

وإذا انتقلنا إلى باقي الغرب الإفريقي، نجد أن الظروف رسخت أن يظل الإقليم الشمالي في نيجيريا بعيدًا عن التأثير مما كان له العديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في نيجيريا. وأن كان عموم نيجيريا ترددت على رحلات الحج وما يعود منها من منافع، وإن لم تكن رحلات الحج هي الوحيدة التي حفظت الإسلام في البلاد، إلا أنها كانت من بين مدراس عدة قاومت التنصير في عموم نيجيريا.

فنجد نسبة المسيحيين في شمال نيجيريا لا تذكر وذلك بسبب المعاهدات التي تم توقيعها مع حكام الشمال في بداية القرن السابق بعد موافقة بريطانيا على عدم جواز التدخل في الدين الرسمي[١١]. ولم

---

(٩)المرجع السابق.

(١٠)زكريا مومني، وضعية التعليم العربي في مدارس النيجر، بحث مقدم لنيل دبلوم عالمي،ص٢٧.

(11)The Royal Institute of International Affairs.Op.Cit.P22.

يشجع أمراء المسلمين في الشمال التعليم الغربي والتبشيري[١٢]. فكثير من المسلمين في الشمال عارضوا التعليم الغربي في حد ذاته، وأن إدخال هذا التعليم سوف يدمر المدارس القرآنية، وهى أساس نظام التعليم الإسلامي[١٣]. بالإضافة أن الدين الإسلامي أعطى للأفارقة احترامًا خاصًا مما كان مفتقدًا في الجنوب حيث التعليم التبشيري[١٤]. ومن هنا حددت الإرساليات التبشيرية المسيحية نشاطها بعيدًا عن خصوصيات الإمارة الإسلامية[١٥].

كان التعليم في نيجيريا على سبيل المثال مقصورًا على المسيحيين فقط، سواء فيما يتعلق بمدارس الإرساليات التبشيرية أو المدارس الحكومية، أما المسلمون الذين يريدون إدخال أبنائهم في هذه المدارس فكان عليهم قبل كل شيء أن يغيروا أسماءهم إلى أسماء لاتينية، ويشترط عليهم أيضًا أن يحضروا الصلوات، التي تقام في تلك المدارس، بالإضافة إلى البرامج التي تزيف حقائق التاريخ وتحمل كل ألوان التبشير والاستعمار[١٦].

وفى الأيام الأولى للاحتلال البريطاني في بعض دول غرب إفريقيا، أعطت الحكومة الاستعمارية اعتبارًا خاصًا للمسلمين على أنهم أصحاب حضارة رفيعة عن الوثنيين البدائيين[١٧]، ابتداءًا من يناير سنة١٩٠٠[١٨].

كانت أول إرسالية تقصد الشمال في ذلك الوقت هي الإرسالية التي غادرت بريطانيا في١٦ديسمبر سنة١٨٩٩متجهة إلى بلاد الهوسا، وكانت تحت قيادة الأسقف توجولTugwell، وكان قد عُرف عنه اهتمامه بالثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة، ولغة الهوسا بصفة خاصة. وقد قرأ كثير، من الهوسا والفولان ودرس الموقف هناك قبل أن يقود الوفد إلى شمال نيجيريا، وقد وصل هذا الوفد في الشهور الأولى سنة١٩٠٠[١٩]. وكان الدكتور والتر ميلرWalter Miller أحد أعضاء بعثة الأسقف توجول، وهو واحد من أهم المبشرين الذين عملوا في شمال نيجيريا، وإن لم يكن أهمهم جميعاً حيث كان تابعًا لجمعية الكنيسة التبشيرية، وسجل آراءه في أربعة مجلدات[٢٠]. وفى سنة١٩٠٦قام ميلر –الذى أصبح رئيسًا لبعثة الكنيسة التبشيرية بعد رجوع توجول إلى بريطانيا– بتقديم مشروع للحكومة يقترح فيه إنشاء مدرسة داخلية فيها قسم لتربية الذين نالوا قسطًا من الثقافة الإسلامية، إلا أن المحاولة فشلت بسبب كون

---

(12)Tibenderana Peter Kazenga.Op.Cit.P517.

(13)Clark Peter B:West Africa and Islam.First Published.London,1982.P.244.

(14)Bartlett Vernon.Struggle for Africa.London1953.P.108.

(15)Niven Sir Rex.Op.Cit.P117.

(١٦)نجوى شحاته. مرجع سابق.ص٢٩٢.

(17)Trymingham Spenler.AHistory of Islam In West Africa.London,1960.P.226.

(١٨)عبد السلام محمد موسى، جهود لوجارد في خدمة الإمبراطورية البريطانية في غرب أفريقيا. ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية. القاهرة١٩٨٨.ص٥٨.

(19)Grahams.Government and Mission Education Ibadan 1966.p11,12.

(20)Grahams.Op.Cit.P.51.

الثقافة الغربية في ذلك الوقت ثقافة مسيحية خالصة، لذلك لم يقبل عليها المسلمون ولم يروا فيها إلا وسيلة لتغيير دينهم وثقافتهم(٢١).

الحقيقة أن التبشير في الشمال كان ضعيفًا، ويرجع ذلك إلى أنه لا يوجد طلب شعبي على التعليم التبشيري والغربي، والأمراء المسلمون في الشمال لم يوافقوا على أن تعمل الإرساليات التبشيرية في الشمال. بالإضافة إلى تنوع القبائل واللغات في الشمال، وأن الإرساليات بدأت مؤخرًا في الشمال(٢٢). وحرصت الحكومة الاستعمارية على بقاء هذا الإقليم بعيدًا عن المؤثرات التبشيرية فترة طويلة من الزمن، بالإضافة إلى خشية المسلمين من تأثير النشاط التبشيري على الهيكل الاجتماعي(٢٣). وكانت نتيجة لهذه السياسة أن مستوى التعليم والأدب(ماعدا العربي) منخفض عن الجنوب(٢٤). وكانت الجمعيات التبشيرية لا تستطيع تأسيس محطات أو مدارس في الإمارات الإسلامية دون إذن الحكومة الإنجليزية بالإضافة إلى فشل الإرساليات التبشيرية في محاولتها ولم يستطيعوا أن يؤثرون على المسلمين في الشمال(٢٥).

وكان التعليم الحكومي في الشمال النيجيري ضئيلًا وعندما أراد لوجارد أن يضع تخطيطًا للتعليم في الشمال فكر في أن أهم ما يجب أن يقوم عليه تخطيطه الجديد هو أساسيات الثقافة الإسلامية التي أهتم بها أيضاً عن سن القوانين الإدارية(٢٦).

واختار لوجارد أحد مساعديه الإداريين هو هانز فيشرH.Vischer ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال ذلك في عام١٩٠٩حيث افتتح بناءًا على توجيهات فيشر مدرسة حكومية في ناسارا قرب كانوا وبدأ العمل بإنشاء فصل لتدريب الدارسين للعمل كمدرسين، وكانت هذه المدرسة تدرس القراءة والكتابة بلغة الهوسا بالحروف اللاتينية، ومبادئ الحساب والجغرافيا، ومبادئ الصحة العامة، بالإضافة إلى اللغة العربية والدين الإسلامي (٢٧).

وفى عام١٩٢٩حدث تطور مهم تمثل في اندماج إدارتي التعليم في الشمال والجنوب في إدارة واحدة، ووصل عدد المدارس الحكومية في هذه السنة في الإقليم الشمالي١١٦ مدرسة، تديرها الحكومة وتقدم لها الإدارات المحلية معونة مالية ومجموع تلاميذها٣٥٤٩تلميذ وتتكون من٩٥مدرسة أولية٨مدارس صناعية و١٢مدرسة ابتدائية ومدرسة واحدة ثانوية، في الوقت الذى كان التبشير في الشمال قد نشط نسبيًا حيث كان عدد مدارس الإرساليات في نفس العام في الشمال١٥٢مدرسة منها خمسة فقط تتلقى مساعدات مالية من الحكومة(٢٨)، وإن كانت الحكومة البريطانية قد منعت المبشرين المسيحيين من العمل في

---

(٢١) شيخوا أحمد سعيد غلادنت. مرجع سابق.ص٩٢،٩١.

(٢٢)أنظر الوثيقة رقم٤،ص١٩٥. C.O554/438 SCC/5046

(23)Latourette K.S:AHistory of Expansion of Christianity vol.2, London.1965.P.242.

(24)Maboyunje Akinl.Urbanization in Nigeria.London,1968.P.219.

(25)Tibenderana Peter Kazenga.Op.Cit.P528.

آرثر.ف.كلاثر: تقرير المؤتمر(التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي)، الأعمال الكاملة. المؤتمر التبشيري الذى عقد في مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام١٩٧٨، ط١، دار الحرمين، القاهرة،١٩٩٤.ص٥٦

(٢٦)أنظر الوثيقة رقم١،ص١٥٤. XC/15137 C.O 583/20

(27)Perham,Marlery.Op.Cit.P.502.

(٢٨)أنظر الوثيقة رقم٤،ص١٩٥. 5CC/5046 C.o554/438

شمال نيجيريا المسلم، فإنها لم تحارب وجود تأثيرهم تمامًا في هذه المنطقة، حيث تعيين الجنوبيين من أبناء مدارس التبشير في الوظائف الحكومية التي لم تجد الإدارة الاستعمارية إعدادًا كافياً بها من متعلمي الشمال لشغلها[٢٩]·على أية حال فإن التبشير في الشمال كان ضئيلاً بالمقارنة بالجنوب النيجيري، مما أحدث عزلة بين الإقليميين، ولقد عبر أبو بكر أمام عن مخاوف الشماليين حيث كان قد شغل لوقت طويل منصب مدير تحرير هوسا ويكلى(Housa Weckly)في مقابلته مع اتحاد طلبة غرب إفريقيا في لندن سنة ١٩٤٣، تحدث عن مشاعر المتعلمين في كل من الشمال والجنوب تجاه الآخر، فقال كل منا يحتقر الآخر، وكل منا يتهم الآخر بالجهل، وأن الجنوب فخور بالمعرفة والثقافة الغربية ونحن فخورون بالثقافة العربية، وأننا لا نثق في المتعلمين الذين هم في الجنوب[٣٠]· ولقد وضع أبو بكر إمام قائمة بمخاوف الشماليين من الجنوبيين أهمها:

-قيام الصحف الجنوبية بالسخرية من الهوسا وعدم احترامها للأمراء الشماليين.

-أن الكتبة الجنوبيين في الشمال مميزون عن الشماليين في الوظائف الحكومية والشركات التجارية.

-يطمع الجنوبيون في حكم الشمال[٣١].

وإن كان النشاط التبشيري في الشمال قليلاً، ولكنه تسبب مع سياسة الحكومة البريطانية في خلق دولتين في دولة، مما كان له بالغ الأثر في قلة الوعى السياسي في نيجيريا حتى وقتنا هذا وازداد المد التبشيري في جنوب نيجيريا، وكان للأزهر في مصر دور في تقوية وتعليم المسلمين في الشمال، فلقد درس في الأزهر العديد من الزعماء الإسلاميين وما يزال النيجيريون يدرسون في الأزهر إلى وقتنا هذا[٣٢]. وقدم الأزهر منحًا دراسية للأبناء في نيجيريا وكان الأزهر يقبل كل طالب يذهب إليه من البلاد الإسلامية ويعلمه بدون مقابل[٣٣].

المطلب الثالث: مقاومة التنصير في غانا

وإذا انتقلنا إلى غانا، نقول لقد انتشر الإسلام في شمال ساحل الذهب نتيجة لجهود التجار الذين نشروا الإسلام عن طريق فتح المدارس، كذلك نجد أن الظروف رسخت أن يظل الإقليم بعيدًا عن التأثير مما كان له العديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في الغرب الافريقي. وإن كان عموم غانا ترددت عليه رحلات الحج وما لها من تأثير، وإن لم تكن رحلات الحج هي الوحيدة التي حفظت الإسلام في البلاد، إلا أنها كانت مقاومة للتنصير في غانا.

ولم يتقبل المسلمون من ساحل الذهب التعليم الغربي سواء التبشيري أو الحكومي، على الرغم من حرص بريطانيا على أن تمد سبل التعليم بفتح المدارس وتوزيع الكتب؛ مما اضطر الحكومة إلى إغلاق بعض المدارس هناك[٣٤].

---

(29)Lowies L.M.Islam and The Modern World.Oxford,1966.P.14.

(30)Coleman James.Op.Cit.P.300.

(31)Coleman James.I bid P360.

(٣٢)على أبو بكر، مرجع سابق.ص٩٢.

(٣٣)شوقي عطا الله الجمل: الأزهر دورة السياسي الحضاري في أفريقيا. القاهرة١٩٨٨.ص٤٤.

([34])Triminghan.Op.Cit.P95.

أحرزت الطريقة الأحمدية نجاحًا في التعليم الإسلامي في الشمال حيث أن ساحل الذهب كان لم يتقبل التعليم الغربي[٣٥]. ولقد كان للتعليم الإسلامي السبق عن التعليم الغربي في ساحل الذهب فقد بنى المسلمون المساجد وإلى جوارها المدارس التي كانت تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، وعمل أفراد هذه المدارس بالتجارة أثناء عملهم كمعلمين ثم جاء بعد ذلك التعليم الغربي في البداية على أيدي رجال الإرساليات التبشيرية، فظهرت مدرسة الغابة[٣٦]. ولقد عزل البريطانيون المسلمين الغانيين عن الجو العربي، حيث تمركزت الأغلبية الإسلامية في المناطق الشمالية، فأصبح الغانيون مجبرين على استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من العربية[٣٧].

ولم ينتشر التبشير في شمال ساحل الذهب، وذلك بسبب تمسك المسلمون بدينهم ورفضهم للتبشير والتعليم الغربي[٣٨]. وحرص الحكومة الاستعمارية أن يظل التعليم الشمالي محتفظًا بذاته دون تأثير الإرساليات التبشيرية عليه لعدم إثارة المسلمين عليهم وتحقيق أهدافهم في عزل الشمال عن الجنوب، ولم يكن يوجد طلب شعبي من المسلمين على التعليم الغربي[٣٩]. ولقد أقام أحد الدعاة، وهو فضل الله حكيم مدرسة ابتدائية في غانا، وأخرى متوسطة. كما أقام دار للدعوة الأحمدية بعد وصوله في عام١٩٢١وفى كوماسي أقيم مسجد ومدرسة للتعليم الثانوي للأحمدية فأحرزت تقدماً ملموساً في نشر التعليم الإسلامي بين الأهالي في شمال ساحل الذهب[٤٠]. ولقد تنافس المسلمون والمسيحيون في جذب الروح الوثنية، وبدلًا من أن يكون المجال خاليًا للإسلام أصبحت المسيحية تنافسه في المجال[٤١]. ولا يزال الإسلام أسرع عقيدة تنمو حتى في مناطق عمل الإرساليات التبشيرية[٤٢].

المطلب الرابع: مقاومة التنصير في سيراليون وجامبيا

جاء دور رحلات الحج، في سيراليون، حيث الظروف قد رسخت أن يظل الغرب الإفريقي بعيدًا عن التأثير، وذلك للعديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه البلاد. وأن كان عموم الغرب الافريقي تردد على رحلات الحج، وإن لم تكن رحلات الحج هي الوحيدة التي حفظت الإسلام في سيراليون، إلا أنها كانت من بين مدراس عدة قاومت التنصير في عموم البلاد. لقد كان رسوخ الإسلام في الغرب الإفريقي، وتقبل الأفارقة له من العوامل الأساسية التي جعلت الإرساليات التبشيرية تحجم عن التبشير في سيراليون.

([35])African Affairs.vol.44,No.174January,1995.P106.

([٣٦])عايدة عبدالرسول. مرجع سابق.ص٢٧٢.

([٣٧])حلمي شعراوي، الاستعمار الثقافي في أفريقيا(نهضة أفريقيا). السنة الثالثة، العدد٢٩أبريل،١٩٦٠.

(38)Triminghan.Op.Cit.P96.

([٣٩])انظر وثيقة رقم٤،ص١٩٥. C.O554/438 5cc/504

([40])African Affairs.Vol.44,No.174January.1995.P104.

([41])Triminghan S.J.Op.Cit.P96.

([42])Kaplan Irving &Others.Op.Cit.P43.

لقد تنافس المسلمون والمسيحيون في سيراليون من أجل جذب الروح الوثنية، ولم يكن الإسلام وحده في مسرح سيراليون حيث تركز الإسلام[٤٣] في الشمال، أما الجنوب فتقدمت فيه المسيحية عن الإسلام[٤٤]. ولا يزال الإسلام أسرع عقيدة تنمو حتى في مناطق عمل الإرساليات التبشيرية، ومن أشهر الطرق الإسلامية التي قامت بنشر الإسلام في شمال سيراليون الطريقة الأحمدية نسبة إلى أحمد الباكستاني، التي وصلت سيراليون عام١٩٣٩من باكستان[٤٥]. وبعد الحرب العالمية الثانية انتشر الإسلام سريعًا في الوقت الذى كانت الإرساليات التبشيرية المسيحية في أقوى مرحلة لها، ولقد انتشر الإسلام في العديد من المراكز والمدن في الشمال في سيراليون وبالأخص قبائل الفولا أو المادينجو Fullah or Madingo في الوقت الذى كان يحتار الإفريقي في الانضمام إلى كنيسة أو مذهب معين فإنه ترتقى مكانته الاجتماعية بانضمامه إلى عالم الإسلام الواسع، ولم يحارب الإسلام بعض المعتقدات والعادات الإفريقية مثل تعدد الزوجات[٤٦]. ولقد فشلت المسيحية والإرساليات التبشيرية في المقاطعات الإسلامية حيث إن الإسلام كان لديه الوقت لتثبيت نفسه فيها، وبسبب عدم تشجيع الحكومات الاستعمارية في انتشار النشاط التبشيري المسيحي في المناطق الإسلامية، الإسلام بوصفه دينًا عالميًا لا يعطى فقط مكانه الاجتماعية ولكنه يعطى مكانة ثقافية، وهذا ما كتبه ترمنجهامTrimingham في كتابه الإسلام العام Popular Islam فيما يخص المعتقدات الإسلامية والدين الإسلامي[٤٧].

ويقول شارلى.ر.تيبر عن الإسلام"إن الإسلام هو أكثر من عقيدة دينية إنه نظام متكامل للحياة والدين، فالإسلام يدمج كل المؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أسس الإيمان والاقتناع والالتزام بقبول الله وبالاستسلام كلية لإرادته"[٤٨]. على أية حال فإن المسلمين رفضوا التعليم الغربي الذى قدمته الإرساليات التبشيرية سواء في شمال سيراليون أو في شرق جامبيا[٤٩]. وعن أسباب رفض المسلمين للتعليم الغربي والتبشير، فقد وجدوا أن إدخال التعليم الغربي سوف يدمر المدارس القرآنية، وهى أساس نظام التعليم الإسلامي، ورأى آخرون أنها سوف تؤدى إلى خفض المستوى الخلقي وتدمير الإسلام لأن المسلمين سوف يختلطون بانتظام مع غير المسلمين[٥٠].

وفي عموم المراحل دائمًا ما ارتبطت الرحلات التجارية برحلات الحج، ذلك لظروف إفريقيا الخاصة، فنجد أن الظروف رسخت أن تظل سيراليون وجامبيا بعيدًا عن التأثير، وذلك للعديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه البلاد. تردد على رحلات الحج، والرحلات التجارية.

---

(43)Luke Fashole Edward,&Others:Op.Cit.P19.

(44)Trimingham Spencer:Op.Cit.P22.

(45)Kaplan Iriving,&Others:Op.Cit.P131.

(46)Kaplan Iriving,&Others:Op.Cit.P131.

(47)Herskovits Melvill J:Op.Cit.P196.

(٤٨)شارلى.ر.تيبر،مرجع سابق.ص١٩٢.

(٤٩)جورج كمبل،مرجع سابق.ص٦٣.

(50)Clark Peter P:Op.Cit.P244.

المبحث الثالث: رحلات الحج واللغة العربية في غرب إفريقيا في العصر الحديث

المطلب الأول: دور رحلات الحج في المحافظة على اللغة العربية حديثًا

حديثًا وجد الاستعمار أن اللغة العربية هي لغة التعامل والثقافة، مما جعل السلطات الاستعمارية تضطر إلى استعمالها في بداية سيطرتها على البلاد، وذلك في المراسلات وعقد الاتفاقيات بين السلطات المحلية وسلطات الاستعمار. وكانت بعض المدن تمثل مراكز تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية في البلاد مثل مدينة ساي، وزندر، وأغاديس، ومنطقة أزواغ وآير، وسِنْدَرْ.

عندما هيمن الاستعمار على البلاد ورأى ما للعربية من الشيوع في المجتمع منذ رسوخ قدم الإسلام في البلاد، واعدّ العربية من أسباب العرقلة لحكام المناطق من الفرنسيين، وانطلاقًا من هذه الفكرة كثفت السلطات الاستعمارية جهودها في مكافحة تعليم اللغة العربية في النيجر وغيرها من المستعمرات الفرنسية ذات الأغلبية الإسلامية في غرب إفريقية، واستخدمت لذلك وسائل عدة منها فرض قيود صامة لاستيراد الكتب العربية من البلدان الإسلامية، وحتى الحجاج قد منعوا من حمل الكتب الدينية والعربية معهم عند رجوعهم من الحج، وأصبح وضع الحجاج صعباً، والحمل ثقيل في حمل هذه الرسالة، وتم منع افتتاح المدارس العربية إلا بعد حصول على إذن من السلطات، مع التشديد في شروط الحصول عليه. إحصاء كتب العلماء بغرض حصرها وفرض الرقابة عليها.

لم يفتر ذلك من عزائم علماء العربية وطلابه في النيجر وغيرها بل زادهم إصرارا في المحافظة على الإسلام ولغته. حصر المدارس القرآنية ومُدرسيها في طول البلاد وعرضه. ويجدر بنا أن نذكر بعض الكتب المقررة في الحلقات العلمية في النيجر في تلك الفترة وهي المقررة قبلها وإلى اليوم في الحلقات.

لقد تألقت الحضارة العربية الإسلامية في العصور الماضية في المشرق العربي تألقًا لا نظير له في العالم، وازدهرت وزخرت، فأمكن أغلب المسلمين الغيورين على دينهم أن يفدوا على البلاد العربية المشرقية التي تناسبهم لينهل منها العلم والأدب والشريعة الإسلامية، وفي هذا الإطار خرج كثير من النيجريين إلى السعودية وبغداد وسوريا وليبيا، بغية أداء فريضة الحج والدراسة، فبقوا مدة طويلة فيها حيث درسوا العلوم الشرعية واللغة العربية وأتقنوها، وهكذا أقبل المسلمون النيجريون على طلب العلم في المشرق وأرسلوا أبناءهم إليه للغرض نفسه[٥١].

المطلب الثاني: رحلات الحجاج وفترة الاستعمار الفرنسي في النيجر

هناك قصص لرحلات الحج والطرق المؤدية إلى الحج من الاتجاهات الإفريقية، وكذلك وسائل النقل المستعملة، وأرشيف رحلات الحج وثّق لعادات الناس والثقافات التي تعرفوا عليها وطرق الاستعداد للحج والآثار الاجتماعية السياسية والثقافية والاقتصادية لهذه الشعيرة على الحجاج وعلى أوطانهم الإفريقية. وتبين من خلال الأبحاث أن الحجاج كانوا تحت المراقبة والمتابعة الأمنية والتوجيهات السياسية، ومما

([٥١])يوسو منكيلا، مرجع سابق.

جاء في هذا الأرشيف أن أغلب الإمبراطوريات والمستعمرات الأوروبية كانت تنتهج سياسة وضع الحجاج في غرف عازلة لفترة[٥٢].

كما أن الصراع الاقتصادي والفكري بين العالم العربي والأوروبي كان واضحًا في أرشيف الوثائق التي تم العثور عليها، حيث كان هناك تخوف من عمليات التوسع للخلافة العثمانية والأفكار التي كان يحملها القادمون من الحج معهم. ومن خلال هذه الوثائق يتأكد أن العلاقة بين الشرق والغرب لم تكن فقط بين الخير والشر، كما يحلو للبعض وصفها أو عسكرية واقتصادية كما ينظر كثير من المؤرخين إليها، وإنما في جزء كبير منها هي بشرية وثقافية تحكمها جدلية التأثير والتأثر[٥٣].

وممن يذهبون للحج، تحدث المشاركون القادمون من عدة دول، أن الوثائق المتوفرة توضح أن جزءًا منهم كانوا من الأوروبيين الذين دخلوا الإسلام بحكم تواصلهم مع العالم الإسلامي، وجزء آخر من شرق وغرب إفريقيا، حيث يوجد فيها عدد من المسلمين، كما أن جزءًا من الحجاج كانوا يتنقلون مع السفن التجارية المتجهة من وإلى العالم العربي[٥٤].

لقد بدأ الاستعمار الفرنسي لبلاد النيجر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت بداية ذلك البعثات الاستكشافية الأوربية للمنطقة بذريعة استكشاف منبع نهر النيجر ومصبه، وكانت سياسته أنه بعد أن يدب الشقاق بين أفراد الوطن الواحد وجماعاته، وبعد أن تندثر معالم ما توارثوه من حضارات وعقائد تربط بينهم، يبدأ المستعمر في ربط الشعوب المغلوبة على أمرها بعجلته المستغلة[٥٥].

ولقد أغلق الاستعمار الفرنسي دون هذه الاعتبارات الأساسية وأنكرها وأهدر جميع القيم والمعاني، فأمعن في استبداده كما لم يمعن أي استعمار آخر، وانحدر في إسفافه كما لم ينحدر أي بطش، علما بأن السياسة التي انفرد بها الاستعمار الفرنسي عن غيره هي ما أطلقت عليها فرنسا اسم التشابه(Assimilation)[٥٦].

حين نتتبع انتشار الأدب العربي وازدهاره ومصادره في غرب إفريقيا بعامة، والنيجر بخاصة التي نفخت فيها الثقافة الإسلامية العربية روح الكتابة والتدوين التي ارتبطت بقراءة القرآن ودراساته، فإننا نجد أنه منذ قيام إمبراطورية مالي وأثناء عهد هذه الامبراطورية(١٢٣٨-١٤٨٨م) بل حتى القرن السابع عشر الميلادي، كانت اللغة العربية لغة العلم والأدب، بها وضعت أهم المؤلفات التاريخية والفكرية لهذه البلاد، وقد حررها في معظم الأحيان كتاب محليون اكتسبوا هذه اللغة وسبروا غورها[٥٧]. ففي القرن السادس عشر الميلادي وضع الكاتب التمبكتي أحمد بابا(١٥٥٣-١٦٢٧م) كتاب "نيل الابتهاج في تطريز الديباج" حيث يعطينا صورة ناصعة عن تاريخ الحركة الثقافية في السودان الغربي خلال هذه

([٥٢])نصر الدين الدجبي، الندوة الدولية هي الأولى بأوروبا في إطار إعداد موسوعة الحج الكبرى(الجزيرة نت)،ليدن،١٣-١٤مايو٢٠١٦.

([٥٣])المرجع السابق.

([٥٤])المرجع السابق.

([٥٥])شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص١١٥-١١٦-١١٧.

([٥٦])صلاح صبري، إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة١٩٦٠م، ص١٥٠.

([٥٧])يوسو منكيلا، مرجع سابق.

الفترة، وفي القرن السابع عشر وضع عبد الرحمن بن عبد الله السعدي(١٥٩٦-١٦٥٧م)كتاب "تاريخ السودان" وفيه طرح القضايا السياسية والثقافية، وانتقال السلطة في عهد ملوك سنغاي، وكذلك وضع محمود كعت التمبكتي كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس في نفس أهداف السعدي السابقة[٥٨]. وفي القرن التاسع عشر الميلادي مع حركة الخلافة الإسلامية مع الشيخ عثمان بن محمد بن فودي في غوبر، ازدهرت حركة التأليف، واستوت على مناهج التأصيل الإسلامي ومن أروع مؤلفات هذه الحقبة كتاب: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور للسلطان محمد بلو[٥٩].

لقد ارتقت اللغة العربية إبان هذه الخلافة الإسلامية، وأصبحت لغة الأدب الراقي وبخاصة في مجال الشعر، فها هو الشيخ عبد الله يمدح أخاه الشيخ عثمان دان فودي بعدما تمكنت دولة الإسلام وسادت تعاليم الدين الحنيف[٦٠].

إن قصة الاستعمار في النيجر، هي نفس قصة الاستعمار التقليدية في مالي وبينين وإفريقيا بعامة، بدأت خيوطها بصور استكشافية، حيث يذكر أن البرتغاليين هم أول من وصلت سفنهم إلى الخليج الغيني سنة١٤٨٥م، ودخلوا مدينة"بنين"واتصلوا بملكها وعقدوا معه المعاهدة الودية، وفي سنة١٥٥٣م وصلت أول حملة إنجليزية إلى هذه الشواطئ بقصد التجارة ولكنها لم تنجح في هذه المرة، بل مات كثير منها، وأن تلك الخيوط قد بدأت بالفعل بعد منتصف القرن التاسع عشر، وبلغت أوج عنفوانها منذ سنة١٨٧١م، حيث انتشرت القوات الفرنسية داخل إفريقيا، آتية من الشمال ورفعت العلم المثلث الألوان على مساحات واسعة شملت الشطر الغربي للقارة، وامتدت شعبها جنوبا حتى أطلت على خليج غيني[٦١].

ولقد أثبتت الشواهد التاريخية أن النيجر بقيت على هامش المحاولات الاستكشافية الأوروبية الاستعمارية مدة طويلة، وذلك لأسباب عدة منها:

-بعدها عن البحار، وهي دولة قارية، يصعب على المستعمر الأوروبي المغامرة فيها.

-إسلامها العميق حيث يذكر أن نسبة الإسلام في النيجر يقدر بـ٩٨% ، وأن الزوايا والمرابيع القرآنية منتشرة في أنحاء البلاد منذ فترة مبكرة ومن ثم تقف هذه الزوايا أمام كل محاولة لطمس العقيدة الإسلامية، وبخاصة إذا كانت هذه المحاولات خارجية أو غربية صهيونية عدوانية. فيذكر أن أول مستكشف وصل إليها هو منغوبارك(Mango Parck)الإيكوسي (Ecossais)الذي زار نهر النيجر سنة١٨٠٥م وبعد عام فقط تم القبض عليه في مدينة بوسو حيث قتل في عام١٨٠٦م من قبل السكان دون أن يحقق غرضه الاستعماري وفي سنة١٨٢٢م وصل إنجليزيان دان هام وستا يرنون إلى منطقة

([٥٨])المرجع سابق.

([٥٩])المرجع سابق.

([٦٠])المرجع سابق.

([٦١])آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا. منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لا ط، ١٩٦٥م،ص٣٧.

بلما عاصمة كاوار، وهما قادمان من طرابلس عبر تشاد وانجيجيمي المدينة التاريخية المشهورة في النيجر[٦٢].

وقد وصل الألماني بارت(Barth)فيما بين(١٨٥٠-١٨٥٥)إلى برنو قادمًا أيضًا من طرابلس، ومن برنو توجه إلى مدينة ساي الإسلامية مرورًا بآير من تشاد، وبعد أن مكث مدة يسيرة في مدينة ساي توجه إلى تمبكتو، وعند رجوعه سلك نفس الطريق: ساي، آير، تشاد-طرابلس.

وقد أثبتت الشواهد التاريخية أن التدخل الاستعماري بالقوة والسلاح والتخويف والتنديد والقتل والتخريب والإهانة من قبل الفرنسيين في النيجر قد بدأ بالفعل بعد مهمة هو رست بمدينة غاو(جمهورية مالي حاليًا)، وهي عندئذ تابعة لجمهورية النيجر، ومن ثم انتشرت البربرية الفرنسية في جميع أنحاء النيجر، وأنه كثرت الاستكشافات الأوروبية بعامة في إفريقيا، وفي السودان الغربي بخاصة في فترات ما بين(١٨٠٥-١٨٩٨) فتضاربت وتخالفت مصالح تلك الدول الأوروبية الغاشمة كما اختلفت أيضا في المناهج والأساليب وذلك لاختلاف استعداداتهم وقواتهم الأمنية في داخل بلدانهم[٦٣].

وجد الاستعمار أن اللغة العربية هي لغة التعامل والثقافة، مما جعل السلطات الاستعمارية تضطر إلى استعمالها في بداية سيطرتها على البلاد، وذلك في المراسلات وعقد الاتفاقيات بين السلطات المحلية وسلطات الاستعمار.

لقد أثار الانتباه ما يحدث من عراقيل بسبب استعمال اللغة العربية الذي يمكن أن يقال إنه -منتظم- في تحرير الأحكام الصادرة عن القضاء الأهلي، وفي المراسلات الرسمية مع الرؤساء والأعيان، وفي كل ظروف الحياة الإدارية تقريبا...وهي اللغة المقدسة في نظر السود، وانطلاقًا من هذه الفكرة كشف السلطات الاستعمارية جهودها في مكافحة تعليم اللغة العربية في النيجر وغيرها من المستعمرات الفرنسية ذات الأغلبية الإسلامية في غرب إفريقية، واستخدمت لذلك وسائل عدة منها:

-فرض قيود صارمة لاستيراد الكتب العربية من البلدان الإسلامية، وحتى الحجاج قد منعوا من حمل الكتب الدينية والعربية معهم عند رجوعهم من الحج.

-منع افتتاح المدارس العربية إلا بعد حصول على إذن من السلطات، مع التشديد في شروط الحصول عليه.

- إحصاء كتب العلماء بغرض حصرها وفرض الرقابة عليها مثل ما فعلوا مع الشيخ حسن سليمان، وأحمد كيار في مدينة زندر.

ولكن ذلك لم يفتر من عزائم علماء العربية وطلابه في النيجر وغيرها بل زادهم إصرارًا في المحافظة على الإسلام ولغته. وتم حصر المدارس القرآنية ومُدرسيها في طول البلاد وعرضه.

المطلب الثالث: مناهج تعليم اللغة العربية في غرب أفريقيا

([٦٢])محمد سعيد الكشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة يقار، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٤٧.

([٦٣])المرجع السابق، ص٢٣.

من منظور تربوي جاء مقترح ليسهم في تيسير تدريس اللّغة العربية في المدارس العربية بغرب أفريقيا وهي[٦٤] ببناء مناهج اللّغة العربية في ضوء الاتجاه التّكاملي المهاري لتعليم اللّغة وتعلّمها، مع إلغاء فكرة تفريع منهج اللّغة العربية إلى فروع لغويّة مستقلة من نحو وصرف، وأدب ونصوص، وبلاغة، وعروض، ومطالعة، وغيرها، واعتماد فكرة تكامل تعليم اللّغة وتعلّمها متكاملة وفقًا لطبيعتها المتكاملة، لأنّ تفريعه إلى هذه الفروع المستقلة لا طائل من ورائها سوى تفتيت الخبرة اللّغوية. كما يمكن اختيار النّصوص اللّغوية من نصوص القرآن الكريم، وجعلها محورًا رئيسًا في تعليم اللّغة دون إغفال نصوص الأحاديث النّبوية الشّريفة، وتراث العرب القديمة والحديثة، المنظومة منها والمنثورة، لأنّ اتخاذ النّص اللّغوي منطلقًا منها لتعليم اللّغة العربية في ضوء مهاراتها الأساسية، ممّا يحفظ للغة وحدتها وتكاملها. مع الاهتمام بالخبرة المربية المتكاملة ذات الأنشطة المتعددة، والمنظمة للمعارف اللّغوية، ومهاراتها والتي تساعد المتعلّم على النّمو بطريقة متكاملة. إكساب المتعلّمين المعارف اللّغوية ومهاراتها بصورة كلّية شاملة، باتخاذ موضوع واحد محورًا رئيسًا، وإحاطته بكلّ المعارف، والمهارات اللّغوية المرتبطة به، ليتسنى للمتعلّمين الإلمام بها متكاملًا. السّعي إلى بناء شخصية المتعلّم متكاملة من خلال إكسابه المعارف اللّغوية، ومهاراتها الأساسية؛ لتنمية الثّروة اللّغوية لديه، وقدرته على استعمال اللّغة بشكل صحيح متكامل. إضافة الانطلاق من الواقع اللّغوي للمتعلّمين، بتحديد المهارات اللّغوية اللّازمة لهم، والتّركيز عليها في كلّ مرحلة تعليمية، لأنّ التّركيز على المهارات اللّغوية، والنّظر إليها نظرة متوازنة في تعليم اللّغة يساعد على تنمية لغة المتعلّمين نموًّا متوازنًا. توجيه تعليم اللّغة العربية في التّعليم العامّ نحو سدّ حاجات المتعلّمين اللّغوية، باختيار المحتوى اللّغوي الّذي يلبّي تلك الحاجات، ويأخذ في الاعتبار بالمتغيرات الثّقافية، والحضارية، وما يتطلّع إليه المجتمع من مشاركة أبنائه في حلّ مشكلاته، والارتقاء به إلى مصاف المجتمعات المتقدّمة. إعداد معلّم اللّغة العربية إعدادًا متكاملًا، قبل الخدمة وأثنائها، ليكون ذا قدرة أكاديمية تمكّنه من معالجة اللّغة وحدة واحدة، ومؤهّلًا تربويًّا على مستوى النّظرية والتّطبيق الميداني، ومقتنعًا بجدوى التّكامل اللّغوي في عمليات بناء المنهج، وتنفيذه، وتقويمه، وتطويره. وتدريب المشرف التّربوي على تعليم اللّغة العربية بشكل دوري. ويجب النّظر إلى اللّغة على أنّها مهارات أكثر منها محتوى، لأنّ التّشابه بين التّكامل، والتّمهير كبير جدًّا، لا يمكن تجاهله، حيث إنّ إحدى صور التّكامل تتحقّق في التّكامل بين مهارات اللّغة، على مستوى النّظرية والتّطبيق، ما يعني أنّه لا يمكن أن تستقيم حال تعليم اللّغة العربية بعيدًا عن إدارته في ضوئهما. ويجب استخدام الوسائل التّعليمية وتقنياتها في عمليات تنفيذ المنهج التي تدعّم نجاح تطبيق المنهج التّكاملي كمصادر التّعلم، والإنترنت، وأجهزة الحاسوب وبرمجياته. مع تدريب معلّمي اللّغة العربية تدريبًا متكاملًا تمكّنهم من استخدام طرائق التّدريس النّشطة، والوسائل التّعليمية وتقنياتها في مختلف الأنشطة اللّغوية في ضوء المنهج التّكاملي.

([٦٤])منظور تكاملي مقترح لتدريس اللغة العربية في المدارس العربية في غرب أفريقيا.

http://africansmajma.com/2015/08/29

الخاتمة وأهم التوصيات

عندما هيمن الاستعمار على البلاد، ورأى ما للعربية من الشيوع في المجتمع منذ رسوخ قدم الإسلام في البلاد، واعتبر العربية من أسباب العرقلة لحكام المناطق من الفرنسيين، وانطلاقًا من هذه الفكرة كثفت السلطات الاستعمارية جهودها في مكافحة تعليم اللغة العربية في النيجر وغيرها من المستعمرات الفرنسية ذات الأغلبية الإسلامية في غرب إفريقية واستخدمت لذلك وسائل عدة منها فرض قيود صارمة لاستيراد الكتب العربية من البلدان الإسلامية، وحتى الحجاج قد منعوا من حمل الكتب الدينية والعربية معهم عند رجوعهم من الحج، وأصبح وضع الحجاج صعباً، والحمل ثقيلاً في حمل هذه الرسالة، وتم منع افتتاح المدارس العربية إلا بعد حصول على إذن من السلطات، مع التشديد في شروط الحصول عليه. إحصاء كتب العلماء بغرض حصرها وفرض الرقابة عليها.

توصلت الدراسة إلى التوصيات التالية:

-ينبغي على القائمين بتعليم اللّغة العربية في المدارس العربية بغرب إفريقيا الاستفادة من المنهج التكاملي للحاق بركب التّقدّم والتّطور في ميدان تعليم اللّغات وتعلّمها، وتكيّفًا لطبيعة اللّغة العربية نفسها. أبرز ما تتّسم به اللّغة، كونها وحدة متكاملة، وهذا التّكامل يعود إلى كون اللّغة مجموعة من النّظم المتكاملة فيما بينها[٦٥].

-ضرورة عودة البعثات العلمية للدراسات الجامعية في اللغة العربية والإسلامية من البلاد العربية علما بأن هذه البعثات نوعان: الرسمية وغير الرسمية، الأولى هي التي تنظمها الحكومة فترسلها للدراسة، وهي في يومنا هذا لا تكاد توجد، لأن اللغة الفرنسية في النيجر على الرغم من أنها هي اللغة الأولى فإنها تشعر بالمنافسة الشديدة من قبل العربية.

-العودة لتشجيع الطلاب الأفارقة أثناء دراستهم في البلاد العربية، بأن يشاركوا في المطارحات والمسابقات الأدبية الشعرية وغيرها ويفوزوا بجوائز أدبية في جامعات أمثال(قار يونس وكلية الدعوة الإسلامية والمدينة المنورة والجامعة الإسلامية بالنيجر، وجامعة الأزهر الشريف بمصر).

-إعادة دور رحلات الحج في وصول كثير من كتب الأدب العربي الجيدة من العصر الحديث، شعره ونثره إلى النيجر ومكتباتها التجارية، مع انتشار التعليم النظامي العربي الإسلامي العالمي مثل الجامعة الإسلامية بالنيجر وكلية البنات للدراسات الإسلامية والعربية ومعاهد عليا، علما بأن في جميع أقسام اللغة العربية تدرس مادة الأدب العربي الإفريقي، فظهرت عند الأدباء في النيجر والطلاب موجات قوية الاهتمام بهذا الأدب الإسلامي الإفريقي، والتخصص فيه في رسائل ماجستير ودكتوراة.

-وجود وسائل حديثة للنشر منها: الصحف العربية كالواحة والتواصل والسلام، يديرها ويكتب فيها المثقفون النيجريون بالثقافة العربية الإسلامية، فمع اهتمام هذه الصحف والجرائد بتكوين وعي إسلامي صحيح. في نهاية الدراسة أقول إن القرآن الكريم يمثل المنبع الأول والمهم للنيجري العربي، ويمثل غذاءه، ومصدره، وقوته وكذلك الحديث الشريف. وبناء عليه فمواسم ورحلات الحج والعمرة إلى الأراضي

([٦٥])أحمد عوض، مداخل تعليم اللّغة العربية -دراسة مسحية نقدية-مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية،٢٠٠٠.

الحجازية ما زالت تمثل فرصة لتنمية رصيد اللغة عند هذه الشعوب، فلم البعد عنها؟ وعدم استغلالها الاستغلال الأمثل؟.

المصادر والمراجع

١. –أحمد عوض، مداخل تعليم اللّغة العربية –دراسة مسحية نقدية– مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية،٢٠٠٠.

٢. –آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا. منشورات مكتبة الحياة، بيروت،١٩٦٥م.

٣. –آرثر.ف.كلاثر، تقرير المؤتمر(التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي)، الأعمال الكاملة. المؤتمر التبشيري الذى عقد في مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام١٩٧٨، ط١، دار الحرمين، القاهرة،١٩٩٤.

٤. –حسين محمد الربابعة، الإسلام في النيجر بين الماضي والحاضر، كلية عجلون الجامعية جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

٥. –حلمي شعراوي، الاستعمار الثقافي في أفريقيا(نهضة أفريقيا).السنة الثالثة، العدد٢٩أبريل،١٩٦٠.

٦. –زكريا مومني، وضعية التعليم العربي في مدارس النيجر، بحث مقدم لنيل دبلوم عالمي.

٧. –شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة،١٩٧١م.

٨. –شوقي عطا الله الجمل، الأزهر دورة السياسي الحضاري في أفريقيا. القاهرة،١٩٨٨.

٩. –صلاح صبري، إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة،١٩٦٠م.

١٠. –عبد السلام محمد موسى، جهود لوجارد في خدمة الإمبراطورية البريطانية في غرب أفريقيا. ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية. القاهرة،١٩٨٨.

١١. –محمد سعيد الكشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة يقار، ط١٩٩٩،٢م.

١٢. –مجلة الإسلام اليوم، إصدار منظمة الايسيسكو، العدد١٢، السنة٢، رجب١٤٠٤هـ.

١٣. –منظور تكاملي مقترح لتدريس اللغة العربية في المدارس العربية في غرب أفريقيا.

١٤. –نصر الدين الدجبي، الندوة الدولية هي الأولى بأوروبا في إطار إعداد موسوعة الحج الكبرى(الجزيرة نت)، ليدن،١٣–١٤مايو٢٠١٦.

15. –African Affairs.Vol.44,No.174January.1995.

16. –Bartlett Vernon. Struggle for Africa. London1953.

17. –Clark Peter B:West Africa and Islam. First Published. London,1982.

18. –Grahams. Government and Mission Education Ibadan1966.

19. –Trymingham Spenler. A History of Islam In West Africa. London,1960.

20. –Latourette K.S:A History of Expansion of Christianity vol.2,–London.1965.

21. –Lowies L.M.Islam and The Modern World. Oxford,1966.